Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ - ثقل التعريف وثقل المخالفة :

لقد رأينا فيما سبق أن التعليل بالاستخفاف والاستثقال ينقسم لدينا إلى نوعين ؛ النوع الأول هو ما استخدمه الكوفيون للتعليل للظواهر اللغوية التى تحدث آليا ، وقد أدرجناه فى التعليلات التجريبية . والنوع الثانى-وهو موضوع هذه الفقرة - هو ماتعلل به الكوفيون لظواهر لغوية تحدث نتيجة لتدخل وعى الانسان وتفكيره مما يدعونا لأن ندرجه فى التعليلات العقلية طالما أن الوعى يحتاج إلى إعمال الفكر ونحن لانستطيع أن نصل إلى أفكار الآخرين .

فمن ذلك ماتعلل به أبوبكر الأنبارى للأسباب التي تمنع بعض الكلمات من الصرف حيث يقول : « إذا سميت امرأة بنعت مذكر لم تجره [لم تصرفه] كقولك قامت خائنٌ ، وظالمٌ ، وأكرمت خائنَ وظالمَ ، ومررت بخائنَ وظالمَ . وكذلك تقول : قامت سنيحٌ ، وقعدت مُدلٌّ ، وأكرمت سنيحَ ورأيت مُدلَّ ومررت بسنيحَ ، ونظرت إلى مُدلَّ » وكان ينبغى على أبى بكر الأنبارى أن يقف عند هذا الحد من الوصف المباشر للغة فيظل فى نطاق المنهج التجريبى ، ولكنه مالبث أن سند هذا الوصف بعلتين عقليتين حين قال : « فلاتجرى النعوت المذكرة إذا علقتها على الإناث لأنها ثقلت إذ علقت على مالا يشاكلها فاجتمع فيها هذا الثقل مع ثقل التعريف ، فلم تُجرها لهاتين العلتين ، فإن كانت نكرة أجريتها كقيلك : قامت مدلٌّ ومدلٌّ أخرى . وأكرمت مدلَّ ومدلاً أخرى ومررت بمدلٍّ ومدلٍّ أخرى . لم تجر الأولى لأنها معرفة وأجريت الثانية لأنها نكرة » (٢٦) . فالثقل راجع هنا إلى علتين هما مخالفة النعت للمنعوت فى الجنس ، والتعريف ، وهما فرضان عقليان طالما أنه لايمكن التثبت منهما بالرجوع إلى الواقع ، ويحتاجان من المتكلم إلى إعمال الفكر ممايصعب علينا إثباته والتأكد منه ، كما إنه يتعارض مع آلية اللغة .

---

(٢٦) أبوبكر الأنبارى : المذكر والمؤنث ١٦٥/١ .